

الرسول ﷺ هو المثل الأعلى للمؤمن في سلوكه ، وسيره إلى الله

إخواني الأعزاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلعلكم جميعا بخير بمحض فضل الله ورحمته التي يسير بها هذا الكون خلقا وإيجادا وإمدادا معنى ومبنى . ويدرك بها الإنسان ماله وما عليه من خير وشر . هذا الإنسان الذي يتصور نفسه كأنه رب هذا الكون خلقا وإيجادا . وسبب هذا جهله وغروره ، وضلاله وفجوره ، ولأنه كذلك حقيقة ذكره الله تعالى بهذه الأوصاف في كتابه العزيز ، حيث قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ .

ولكى يخلص الله الإنسان من هذه الصفات دعاه إلى الإيمان بكل ما جاء به تفصيلا وإجمالا ثم أرسل رسوله ليبين للناس ما نزل إليهم قولا وفعلًا وحالا : ولما يعلم الله من حال الإنسان تكويننا وتركيبنا اختار الرسول منهم ، وأعطاه من صفاته ما يشد أزره ، ويعلى شأنه ويقوى حجته ، وينصر كلمته ، ويرفع ذكره ؛ ولذلك أخذت الدعوة طريقها إلى الانتشار سريعا ، ونفاذا وبصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدعوات . وقد بلغ أصحابه رضوان الله عليهم قمة الإسلام والإيمان والإحسان في المدى القصير من الزمن ، لأن الدعوة كانت في عهده ﷺ تسير في ظلال النور الرباني الذي أكرم الله به الرسول ﷺ

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ الكتاب يتلى والرسول يبين ، الكتاب يأمر وينهى ، والرسول عليه الصلاة والسلام يعمل ويترك ، ويشرع بنور الله الذي خصه به ، ودله عليه . لذلك قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ والآيات التي وردت في هذا الشأن عديدة وكثيرة لاحصر لها . وإذا قلت القرآن كله نبض هذا المعنى فلا حرج ، وبكفى المؤمن في معرفة الرسول ﷺ واتباعه والافتداء به في جميع

أعماله الدنيوية وأخروية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى لكل مؤمن في سلوكه وأعماله ، وسيلة وغاية . ولولاه ما عرفنا الحق ولا اهتدينا : شأنه في الهداية لنا شأن الشمس نور بالنسبة لأبصارنا ، ولذلك أمرنا باتباعه ، وكلفنا بحبه وتعزيزه وتوقيره وتسييحه لأن حصول هذا يقتضى الصدق والإخلاص في عبادة الله وحده لا شريك له .

وقد وحد الله نفسه في سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كما وحد الرسول الله في الاتباع بسورة « الكافرون » ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ .. ﴾ السورة . ويكون الصدق والإخلاص في عبادة الله وحده : وصف الله رسوله ﷺ بالكمال البشرى ليسوقنا إلى محبته ، ويرفعنا إلى مودته لما يعلم سبحانه من حبنا لأنفسنا وحرصنا الشديد على الحياة السعيدة الدائمة بلا مكروهات ولا منغصات . وذلك ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذا هو الرباط القوي والصلة المتينة التي بين المؤمنين وبين الرسول ﷺ الذي أرسله الله ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وكما قال هو عليه الصلاة والسلام « إنما أنا رحمة مهداة » أو كما قال . فمن كان هذا شأنه . وهذا وصفه في كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كيف لا يحبه أكثر من نفسه من آمن به ، واستمع لدعوته . فالعبرة بالمعاني لا بالمباني . ﷺ . فانظروا إخوانى إلى أهل الكتاب لماذا كفروا بالله وهم يؤمنون بالله ورسولهم واليوم الآخر ؟ لأنهم لم يؤمنوا برسوله . ولم يحبه بل حاربوه وأبغضوه فبم تميز نحن عنهم ؟ ! بالإيمان والحب والقرآن المنزل على رسول الله ﷺ بالإضافة إلى مشاركتهم الإيمان بالرسول السابقين ، والكتب المنزلة عليهم من الله تعالى . وبهذا نعلم أن تفاوت درجات المؤمنين عند الله عز وجل بقدر صلتنا بالله معبودا ، وبرسول الله ﷺ اتباعا واقتداء . وبحبهما فناء وشهودا : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فانظروا أيها الإخوة إلى المقصود من الاتباع نظرة فاحصة ونفاذة . لاشك

أنكم ستجدون المسافة بيننا وبينه ﷺ بعيدة ، وإن كنا على الصراط بقدر معلوم . وعلى الطريق بحد مرسوم . ولكن الجوهر يكاد يكون مفقودا . فالحمد لله الذى أكرمنا بهذا القدر الذى ميّزنا به عن الكفار والعصاة من المؤمنين .

فقد علمت إخوانى أن كل من يصلى ويصوم ويذكر ويحج ويعتمر فهو لا شك على قدر من الاتباع . ولكن هناك انحراف كبير فى المعاملات والأخلاقيات التى أشار إليها الرسول ﷺ بقوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وهناك انحراف فى العقائد ، وهناك إيثار واضح للدنيا على الآخرة ، ونحو ذلك مما نجده فى أنفسنا وسبب هذا كله : عدم ارتباطنا برسول الله ﷺ أى من بداية الدعوة ، حيث كان التوحيد الخالص لله عز وجل ، والإيمان باليوم الآخر ثوبا وعقبا . فأين نحن من الاتباع لرسول الله ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ إذن فلا بد لنا من وقفة جديدة نشطة ومتحركة ، قوية نفاذة حول الكلمتين العظيمتين : فإذا نظرنا إلى (الكاف) و (نا) فى أرسلناك نجد أن مدلولها : الله . والمبلغ رسول الله والمبلغ : هم أمته . وإذا ما نظرنا إلى ما وراء هذا نجد الجنة وما فيها من المتاع الأبدى ﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وإذا نظرنا إلى كلمة نذيرا : وجدنا أنفسنا بجميع صفاتها البشرية وأوصافها الخلقية فمن أراد الاتباع الحقيقى لرسول الله ﷺ : فعليه لزما البدء بما بدأ الله به تصديقا مقترنا باليقين الكامل الذى يسوق صاحبه سوقا حارا وساخنا بدافع الحب والشوق أشد حالا ومقاما من حاله ومقامه حين يبكر إلى عمله الدنيوى صباحا ، وإلى أهله وولده ومعاشه ظهرا ومساء . ومن نظر إلى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ نظرة جدية تلهف إلى ملاقة رسول الله ﷺ ، مستجيبا لدعوته ، محبا له ، مؤثرا ما جاء به على ما تهوى نفسه وترغبه ، شأنه فى التعلق به — اقتداء وتأسيسا — كشأن الصائم فى اليوم الحار فى التعلق بالماء البارد عند الإفطار مع ملاحظة الفرق الكبير بين التعلق بالماء البارد والمتعلق برسول الله ﷺ !! لأن لذة الماء محدودة ومقيدة بوقت ، ولذة الاتصال بالله ورسوله واليوم الآخر ممدودة وغير مقطوعة . بل هى فى زيادة مستمرة ، وشوق متزايد وعلى كل حال أقول لإخوانى : إن من

أراد علوّ بنيانه فعليه بتوثيق الأساس وإحكامه وشدة الاعتناء به ؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه . فالأعمال والدرجات بنيان : أساسها الإيمان بالله . ومتى كان الأساس صحيحاً وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه ، فإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه . وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ، ولم يلبث أن ينهار أو ينهدم . فالعارف بالله همته تصحيح الأساس وإحكامه . والجاهل يرفع في البنيان من غير أساس . فلا يلبث بنيانه أن يسقط . قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَكْسَبَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ﴾ .

قال بعض العارفين : ما علمت أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان . فقال له رجل إني كثير البكاء . فقال : إنك إن تضحك وأنت مقر بذنبك خير من أن تبكى وأنت مُدِلٌّ بعملك ؛ فإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه . فاعلموا إخواني أنه لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم إلا من عرف نفسه ، ووقف بها عند قدرها . قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ولما يعلم الله سبحانه من حقيقة الإنسان نوعاً وكيفاً حذرنا من مجارة النفس واتباع هواها : بل قيدنا بهوى رسول الله ﷺ ؛ لما يعلم من أن الحياة في الدنيا والآخرة لا وجود لها ولا حركة إلا بهذه النفس التي سواها فألهمها فجورها وتقواها . فكما لاهية ولا زمن في الدنيا إلا بشروق الشمس وغروبها كذلك لا حياة في الدنيا والآخرة إلا بالنفس ووضعها وإذا قال عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ وللتزكية معان كثيرة أحسبني تعرضت لها مراراً وتكراراً ولا مانع عندي من تلخيص جديد بالإضافة إلى ما ذكر من قبل ، ومن تخصيص واضح لمعنى التزكية ، فقد اقتضت حكمة الله وشأته إرادته أن يكون للإنسان حيتان : عاجلة — وآجلة . فالأولى فانية وزائلة ، والأخرى باقية ودائمة . فبالفانية يدرك الإنسان معنى الحياة ويدوق طعمها ، فالحياة من حيث هي يحبها الإنسان حباً جماً لأنها مستمدة له من الروح الذي هو من أمر الله الحى القيوم . فحب الحياة صفة من صفات النفس ، ولذلك وعد الله المؤمنين بحياة أعلى وأفضل من هذه الحياة ، ويمتاع أوسع بصورة لا مثيل لها في هذه الحياة الزائلة ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ قليل بالنسبة

للمتاع المقبل عكس المتاع المحدود والموقوت .
ولذلك كان أول العرض من الرسول ﷺ هذه الحياة مقترنة بأوسع معاني المتاع
الحسى ، والدوقى والمعنوى . الأمر الذى يحمل الإنسان على الإيمان والطاعة
والعبادة طواعية ، غير مبال بما يلقى ويبالى من المشاق والمصاعب فى الطريق إلى
تلك الحياة العزيزة العظيمة ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَىِّ ﴾ ولا يتأتى هذا بمجرد الخير العام . إنما يتأتى بالتصديق ؛ وليكون هذا
التصديق واقعيا : لابد من ربط الأعمال بالآخرة فعلا وتركها وهذا حاصل منا فى
الحياة الدنيا بصورة محسوسة وملموسة لا يسعنا تجاهله أو إنكاره . مع عدم
الضمان للبقاء فى الدنيا لحين الظفر بالنتيجة . فإذا كان هذا شأننا فى أعمال
الدنيا التى لا قطع فى الانتفاع بها حيث الموت ماثل أمام أعيننا فى كل لحظة !!
فكيف الشأن فى أعمال الآخرة التى لا فوت فيها ولا انقطاع عنها ؟؟ عجبا
للمؤمن !! كيف يغفل عن هذا ؟؟ ومع هذا يزعم الإيمان بالآخرة وثوابها . إذا
هناك خلل فى العقيدة . وفى الإيمان بوعد الله ووعيده . وبهذا نعلم أن التزكية مراد
بها تخصيص النفس بفجورها وتقواها للحياة الأخرى . وذلك بمعنى ترشيحها
وإعلائها وتعظيمها وتكبيرها بوضعها فى المقام الذى خلقها الله لأجله :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أما التذسية فشركها مع هواها
فى الحياة الدنيا . فانظروا إخوانى إلى الأب كيف يعنى بتربية ولده باذلا . فى
ذلك كل جهده ليكون له شأن مرموق وحظ مأمول فى حياة لا دوام لها .
يبدل هذا كله لأنه كفيله ووليه ومسئول عنه حتى العاجز من الآباء يحرص
ويتمنى فإذا كان هذا شأن الوالد مع الولد فكيف حال المؤمن وشأنه مع نفسه التى
بين جنبيه وهو المسئول عن ذلك أولا وآخرا . فمن ترك نفسه وإرادتها شأنه
شأن من ترك ولده بلا تعليم ولا تربية . فالأول فعل ذلك بالنسبة للآخرة ،
والثانى فعل ذلك للدنيا ، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ،
والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، أو كما قال . فالنفس
المؤمنة لها أهميتها الكبرى عند الله لأنها مبيعة إليه ومشتراة له وبذلك أصبحت
وديعة عند صاحبها لا يملك حق التصرف فيها إلا بإذن الله مالكها . الذى
خلقها وسواها فألهمها فجورها وتقواها . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ. وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿١٠﴾ أما الثمن فهو الجنة . وهذه
 المبايعه حصلت بمعرفة ووساطة رسول الله ﷺ : قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقد عرض الرسول ﷺ
 نفسه — الطاهرة المزكاة — بدلا من نفوسنا . ولكي يكون العرض مقبولا
 ومستساغا ومقنعا قدّم لنا بأمر الله الجنة الجامعة لكل محبوبات النفس البشرية
 من اللذات الحسية والمعنوية التي لاحصر لها ولا إحاطة بها مادامت حياتنا في
 الدنيا . وقال « ألا إن سعة الله غالية ألا إن سعة الله الجنة » وهذا ما عناه الله
 بقوله ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وبهذا نعلم أن ما كلفنا الله من أوامر ونواه ، بالإضافة
 إلى المدة اليسيرة التي سنقضها في الحياة الدنيا لاتساوى ذرة من نعيم الجنة
 بالإضافة إلى صفة الخلود الدائم فيها ، وليكون بعض التكافؤ بين الحالين جعل الله
 الحد الأدنى للحسنة عشر أمثالها ، والحد الأعلى لانهاية له . فلا بد لنا أيها الإخوة
 الكرام من بداية جديدة نصصح بها موقفنا ، ونصلح عليها حالنا فنتجه بها إلى
 الدار الآخرة بهمة عالية ، ونية صحيحة وصالحة في كل ما يصدر منا من أقوال
 وأفعال وأعمال ، بقبولة معصومة ، ورسالة منيرة ومشرقة هي الرسول . وهو بشر مثلنا
 يمشى على الأرض بنور الله الذي يربطه بالسماء ويدنيه من عالم الغيب وحضرة الله في
 صورة الشهود والاستغراق كأنه ليس من عالم الأرض ، ولا من أهلها . قال
 تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فإذا فعلنا ذلك بتوفيق الله وإعانتة أكرمنا الله
 بالاستقامة على الصراط المستقيم الذي عليه رب العالمين . ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
 مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
 رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
 بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإذا صدقنا قول الله تعالى في بدء الرسالة ومبشرا

ونذيرا ارتبطنا بالله معبودا ، وبالرسول متبوعا ، وبالجنة وسيلة وغاية : تنزلت علينا
 الملائكة بما يناسب المقال من حال ومقال ، وفي النهاية بإتمام النعم والكمال قال
 تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فالكفاية التامة مع العبودية التامة ، والناقصة
 مع الناقصة . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا
 نفسه . وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان . قال تعالى : ﴿إِنَّ

عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿١﴾ ولما علم إبليس أن الله لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم : قال : فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . فالله سبحانه وتعالى لم يجعل لعدوه سلطانا على عباده المؤمنين فإنهم في حرزه وحفظه وتحت كنفه . فإذا ما ابتلى الله عبدا من عباده المؤمنين بالغفلة أو الشهوة أو الغضب — ودخول العدو على العبد لا يكون إلا من هذه الأبواب الثلاثة — ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب . وقد كان آدم أبو البشرية من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا ومع هذا فلم يزل عدو الله به حتى أوقعه فيما أوقعه . فما الظن بأمثالنا الجهلاء والحمقى . فالعدو لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة وعلى غرة وغفلة فيوقعه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

وقد علمت إخواني : أن الله إذا أراد بعبد خيرا فتح الله له أبواب التوبة والندم والانكسار ، والذل والافتقار والاستعانة به . وصدق اللجوء إليه . ودوام التضرع والدعاء . والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ؛ فالتوبة من أفضل الحسنات . وقد تكون السيئة سبب رحمة الله على عبده حتى يقول عدو الله : ياليتني تركته ولم أوقعه . وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد لعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه وجلأ . باكيا نادما . مستحييا من ربه ناكس الرأس بين يديه منكر القلب له فيكون ذلك أنفع له من طاعات كثيرة لما ترتب عليه من هذه الأمور التي كانت بها سعادة العبد وفلاحه ؛ حتى يكون ذلك الذنب سببا لدخوله الجنة . ويفعل الحسنة فلا يمين بها على الله وينكسر بها . أما من يرى نفسه شيئا ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت فيورثه هذا من العجب والكبر ، والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه . فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل عنقه ، ويصغر نفسه عنده . وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره . وهذا هو الخذلان الموجب للهلاك .

وفي الحديث « لولا الذنب لهلكت أمتي بالعجب » أو كما قال . فالعارف بالله سائر إلى الله تعالى أو يسير إليه بمشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس ، فإذا فقد أحدهما صار كالطير الذي فقد أحد جناحيه . وهذا معنى حديث سيد الاستغفار : « أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي » فالعبودية مدارها

على قاعدتين : حبٌ كامل ، وذل تام . فإن مشاهدة المنة تورث المحبة . ومطالعة عيب النفس والعمل تورث الذل التام : فإذا بنى العبد سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوّه به إلا على غفلة وغرة وغيلة . حيثئذ يتداركه الله برحمته سريعاً فيجبر كسره ، ويجمع شمله عليه : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ فما أسهل الكلام والدعوى !! وما أصعب العمل !! وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

واعلموا إخواني : أن تفاضل الأعمال عند الله تعالى يكون بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة فلنبحث معاً عن الإيمان بالله وهو في قلوبنا — بفضل الله ورحمته — جامد راكد وقد يكون متحركاً ولكن ببطء وذلك عند المناسبات حين تكون النفس بارزة بشهواتها ، والشيطان متفاعلاً معنا بصورة غير مرئية . أعاذنا الله وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

إخواني :

لا خلاص إلا بالله ، ولا إخلاص إلا بتوفيقه وإعانتة فهيا إلى باب الله الذي لا يغلق في وجه أحد من عباده المفتقرين إليه بذل العبودية ، وعز الربوبية . فوالله الذي لا إله إلا هو : للحظة العبد مع ربه بذل العبودية وعز الربوبية خير من الدنيا وما فيها فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، فالعجل العجل إلى محاسبة أنفسكم قبل أن تحاسبوا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ صدق الله العظيم .
